دراسة لو الشرطيّة الماضوية و أغراض دخول الاستدراک بعدها و التطبيق على بعض آيات القرآن الكريم

على حسن بور*

الملخّص:

يطلق على «لو الإمتناعيّة»، «لو الشرطيّة الماضويّة» و هى حرف يقتضى فى الماضى امتناع ما يليه و استلزامه لما تاليه. فإنّها من اداة الشرط و تفيد تعليق السّبب بالمسبّب و تقييد الشرط بالزمان الماضى و لو مؤوّلاً. و تدلّ على امتناع شرطها بالضرورة من غير تعرّض لامتناع الجواب و لا ثبوته. و من ميزاتها، اختصاصها بالفعل الماضى و لو مؤوّلا ، دخول «أنّ» بعدها كثيرا، عدم جزمها و عدم خروج جوابها كثيرا عن صيغة المضارع المنفىّ بلم و الماضىّ مطلقا. و ترد احيانا بعدها اداة الاستدراک. فدرس كيفية اجتماع أمرين مانع الجمعين فى الظاهر أى: اجتماع الامتناع الحتمىّ و دفع التوهم الذى غير حتمىّ، بالإستدراک. فوضّح أنّ الإستدراک، إمّا راجع الى شرط «لو» لتأكيد امتناعه أو لاغراض أخرى التى تمّ الاشارة الى بعضها و إمّا الى امر آخر، قصد إزالته و دفع التوهّم منه؛ فلا يخلّ الإستدراک مع أنّه لدفع امر متوهّم و غير حتمىّ، بضرورة امتناع الشرط.

الكلمات المفتاحيّة:

لو الإمتناعية، اداة الشرط، دلالات لو، الاستدراک، اغراض لكنّ

---

* طالب المستوى الخامس بمدرسة الشهيدين الدينية (ره)

التمهید

هذه الکتابة تتمحور حول «لو الشّرطیّة الماضویّة»، «غرض ایراد الاستدراک بعدها» و «تطبیقهما علی القرآن الکریم».

من أداة الشرط التی وردت کثیراً فی القرآن الکریم، هی «لو الامتناعیة». و نحن نواجه فی القرآن الکریم الحاقها الجملة الاستدراکیة بأداة الخاصة به؛ رغم أنّ «لو» هذه، تفید الإمتناع بالضرورة فلیس هناک توهم حتی تزیله اداة الاستدراک. فلا بد من غرض لایرادها لأنّه سبحانه و تعالی حکیم و لا ینزل أیّ کلمة من القرآن عبثا. اذن لتفهّم شتّی الآیات و الوصول الی معناها، لابد من الحصول علی معنا «لو» و العلم بکیفیة إفادتها المعنی للجملة التی ترد علیها و المعرفة بما تدلّ علیها، اضافة الی دراسة مرجع الاستدراک و غرضها.

هذه المقالة تحاول القیام بدراسة التعریف و الدلالة و بعض میزات «لو» و بدراسة بعض الأسالیب فی القرآن، التی وردت فیها «لو» متلوّة اداة الاستدراک، بإیتاء التفسیر و استخدام علم البلاغة من شتّی الکتب، للوصول الی المعانی و الاغراض.

و ایضا تمّ دراسة قول الله تبارک و تعالی: «و لَو عَلِمَ اللهُ فیهم خَیراً لَأسمَعَهُم و لَو أسمَعَهُم لَتَولَّو وَ هُم مُعرِضُون» (الأنفال: ۲۳) فی النهایة لأنّها یبدوا قیاسا مستحیلا فی بادئ الرأی.

۱. التعریف

بدایة نقوم بدراسة بعض التعاریف عند النحویّین لـ «لو الشّرطیّة الماضویة» أو «لو الامتناعیة» حتی نصل الی أفضل التعاریف لاختیاره:

۱-۱. التعریف الاول:

«حرف یقتضی فی الماضی امتناع ما یلیه و استلزامه لما تالیه». (ابن هشام، [بی

تا]، ج۱، ص۲۶۰).

ابن هشام الانصاری یعتقد أنّ خاصیة «لو» فرض ما لیس بواقع من مضمون الشرط، واقعا من غیر تعرّض لامتناع الجواب و لا ثبوته. اذن تفید امتناع شرطها فی الماضی و الحال بما أنّهما قد وقعتا، فلیستا بغیر واقع؛ فعندما تدخل علیهما «لو» تفید وقوعهما أی: وقوع غیر واقع یعنی الامتناع نفسه. و ایضا تفید ضرورة ثبوت شرطها فی المستقبل لأنّها لم یقع بعد، فی اللفظ و معناه الظاهر؛ فلیست بواقع؛ فعندما تدخل علیها «لو» تفید الوقوع کما مرّ یعنی ضرورة ثبوت الشرط. و المقصود من کلامه «استلزامه لما تالیه»: «الاستلزام الشرط للجواب». فهذا القید یفید وقوع التعلیق بین السبب و المسبب فی هذا الاسلوب.

۲-۱. التعریف الثانی:

«لو ردٌّ شرطیّة، فتقتضی امتناع شرطها و استلزامه لجوابها، و تختصّ بالماضی و لو مؤوّلا» (مدنی، [بی تا]، ص۸۹۶).

یشکل علی هذا التعریف بأنّها تقتضی امتناع شرطها فی الماضی عندما یکون غیر المؤول. و عندما دخلت علی فعل دالّ علی المستقبل فی المعنی و مؤوّل بالماضی، لا تفید الامتناع کما سیأتی بل تفید تحقّق الشرط.

۳-۱. التعریف الثالث:

«لو حرف شرط، یقتضی امتناع ما یلیه، استلزامه لتالیه.» (ابن مالک، [بی تا]، ج۳، صص ۴۶۹-۴۶۸).

فقد وضّح قصده فی کتابه بقوله:

«أن «لو» حرف شرط فی الماضی و أنها تقتضی نفی تالیها و استلزام ثبوته ثبوت تالیه لانّهما شرط و جواب و لا تقتضی نفی الجواب فی نفس الامر و لا ثبوته»

و النقص واضح فی تعریفه، لأنّ هذا التعریف لا یدلّ علی الامتناع فی الماضی کما أشرنا؛ بل یفید الامتناع مطلقا و هذا سهو منه. و کان علیه أن یشیر الی اختصاصها بالماضی لفظا کثیرا و بالماضی مؤوّلا احیانا و الاتیان بکیفیة افادة «لو الامتناعیة» لهما بالتفکیک و التفصیل.

٤-١. التعریف الرابع:

«حرف لما کان سیقع لوقوع غیره.» (ابن هشام، [بی تا]، ج۲، ص۸۹۲)

لقد ورد فی تعریفه اشکال و نقصان: اما الاشکال فهو: الظاهر أن «اللام» فی «لوقوع غیره» هی «اللام التعلیل» رغم أن وقوع غیره لیس تعلیلا. علی سبیل مثال فی قول الله سبحانه و تعالی: «لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفاقِ» أن «الامساک خشیة الانفاق» لیس بسبب «ملکهم خزائن رحمة الله» بل ناجم عن «شحّهم» و الجواب أنهم مخطئون فی تقدیرهم «اللام» لام التعلیل. فما الضیر لو نقدّرها توقیتا کـ «لا یجلّیها لوقتها فی الامر» أی: الثانی یثبت عند ثبوت الأوّل.

و اما النقصان فهما: الاول: عدم جمعه الافراد. لأنه لا تشیر الی امتناع شرطها. و الجواب: الامتناع مستفاد من مفهوم «کان سیقع» یعنی أنه لم یقع بعد. و الثانی: ما استشکلنا علی الشیخ البهایی من عدم ایراد الحکم للفعل المستقبل معنًی أی: الماضی مؤوّلا.

فالتعریف المختار الرّاجح عندنا هو تعریف ابن هشام الانصاری.

۲. وجه التسمیه

یطلق علی «لو الامتناعیه»، «لو الشرطیة الماضویة». وجه تسمیتها بالماضویة واضح. اما وجه اطلاقها شرطیة، فهو اعتبارها المشهور کالزمخشری و ابن مالک من حروف الشّرط؛ رغم إباء البعض ذلک، مستدلا بکون حقیقة الشرط فی الاستقبال، رغم کون «لو» للتحقیق فی المضیّ.

۳. دلالات لو الشرطيّة الماضويّة

۱-۳. الدلالة على شرطية الجملة و تعليق السبّب بالمسبب

۲-۳. تقييد الشرطية بالزمن الماضى

اذن «إن الشرطيّة» تفارقها و تسبق عليها. لأنّها تدلّ على الشرطيّة فى المستقبل. المفارقة واضح. امّا السبق الذى يتوهم عكسه فى بادئ الأمر، فهو لأنّ الجملة الشرطيّة المحلّى بـ «لو» يستخدم دوماً بعد استعمال الجملة الشرطيّة المستقبليّة و انقضاء مهلة تحقّق الشرط فيها. نحو قولک «لو جئتنى أمس أكرمتک» بعد انقضاء الغد فى قولک قبل الأمس «إن جئتنى غداً أكرمک».

۳-۳. الامتناع

هناک ثلاثة أقوال فى نفس الإفادة و كيفية إفادتها ايّاه:

۱-۳-۳. الأول

ما ذهب اليه الشّلوبين و بتبعه ابن هشام الخضراوى: إنّها لا تفيد الامتناع مطلقا. اذاً إنّها تدلّ على التعليق قطّ كما تدلّ عليه «إن الشرطيّة». و لا علاقة لها بامتناع الشرط و لا الجواب.

خالفهما ابن هشام مستدلّا بأنّ فهم الامتناع من «لو» بديهىّ و لهذا لا بأس باستخدام حرف الاستدراک نحو «لكن» بعد الجملة، داخلا على فعل الشرط منفيّاً؛ إمّا لفظاً و إمّا معنىً. و جاء بهذه الأمثلة و الشواهد لإثبات مدّعاه:

- «وَ لَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَ لَتَنَازَعْتُمْ فِى الْأَمْرِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ» (انفال: ۴۳).

أى: ولكنّه لم يريكموهم كذلک و سيأتى توضيح هذه الآيه بالتفصيل.

- «وَ لَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَ لَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنىّ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِين» (سجده: ۱۳).

أی: لم نشأ فحقّ القول منّا...الخ.

- **«لو جائنی أکرمته ولکنّه لم یجئ»**
- **قول الحماسی:**

«لو کنت من مازن لم تستبح ابلی بنو اللقیطة من ذهل بن شیبانا

لکنّ قومی و إن کانوا ذوی عدد لیسوا من الشّرفی شیء و إن هانا»

و المعنی: لکنّنی لست من مازن بل من قوم لیسوا من الشّر فی شیء. فهو فی إنشائه یعلن أنّه لیس من مازن و یصرّح أنّ قومه لیسوا من الشّر بحرف الاستدراک، فیُفهم أنّ مازن قوم من الشر فی شیء. انتهی.

- **انشاء امرئ القیس:**

«و لوأنّ ما أسعی لأدنی معیشة کفانی و لم أطلب قلیل من المال

ولکنّما أسعی لمجدٍ مؤثّل و قد یدرک المجد المؤثل أمثالی»

یعنی: لو أنّه یسعی لحیاة عادیة کفاه لکنّه لا یسعی لحیاة عادیه بل یسعی للمجد و السادة و ما شابه ذلک.

- **و قوله:**

«فلو کان حمد یخلد لم تمت ولکنّ حمد الناس لیس بمخلدٍ»

ثم جعل کل هذه الامثلة بمنزلة هذه الآیات:

- **«وَ مَا کَفَرَ سُلیمَانُ وَ لکنَّ الشَّیَاطینَ کَفَرُوا» (البقرة: ۱۰۲).**
- **«فَلَم تَقتُلُوهُم وَ لکنَّ الله قَتَلَهُم» (الانفال: ۱۷).**
- **«وَ مَا رَمَیتَ إذ رَمَیتَ وَلکنّ الله رَمَی» (الانفال: ۱۷).**

الا تری أن حرف الاستدراک استعمل بعد وضوح نفی الحکم؟ فلو لم یکن «عدم کفر سلیمان» ، «عدم قتلکم» و «عدم رمیکم» واضحا لما یأتی بحکم جدید لمسند الیه آخر و هو «کفر الشیاطین» ، «قتل الله ایّاهم» و «رمی الله» بحرف الاستدراک بل کان علیه أن یزیل الإبهام من إسناد السابق. فقد لحقت اداة الاستدراک فی الامثلة اللاحقة

فی باب «لو» لوضوح «عدم سعیه»، «عدم المجیء»، «عدم اخلاد حمد الناس»، «عدم أرائتهم کثیرا»، «عدم کونی من مازن» و «عدم مشیّة الله».

أقول:

اولا: استدلال ابن هشام بأنّ استخدام اداة الاستدراک بعد الجملة الشرطیّة المحلّی بـ «لو» یثبت تصریح الامتناع، سهو منه؛ اذ تعریف و معنی الإستدراک:

- **«استدراک أمر ترید رفع التّوهّم عنه، و ألفاظه: «لکن» و «لکنّ» و «علی» أو أحد أدوات الاستثناء ممّا یوفی بالمراد، أو هو نسبة أمر بعد حرف الاستدراک مخالف لما قبله، مثل: «سمیر مجتهد لکنّه ثرثار». (بابتی، [بی تا]، ج۱، ص۸۴)**
- **«رفع التوهم المتولد من کلام سابق بلفظه «لکنّ» أو «لکن» أو «علی» أو ما یقوم مقامها من ادواة الاستثناء» (یعقوب، ۱۳۶۷، ص۴۷)**

و لیس هناک علاقة بین الاستدراک فی الآیات الأخیرة و بین ما مضی فی الأمثلة المشتملة علی «لو».

فکما جاء فی هذه التعریفین، نفس الاستدراک یستعمل لدفع التوهّم. لو کانت الامتناع من الجملة الشرطیّة مقطوعا و واضحا لما احتیج الی دفع التوهم فی الآیات الاحقة. فکیف یدّعی ابن هشام الاستدراک یؤکّد و ینصّ علی وضوح الامتناع رغم کون لازمة معنی الاستدراک عکس ذلک؟

و ثانیاً: هناک بونٌ شاسع بین الأمثلة المحلّی بـ «لو» و بین الشواهد التی دخلت علیها نفس اداة النفی فلیس هناک جامع أو وجه شبه یفید التمثیل به، ففی الاولی لم یتغیّر المسند الیه عند الاستدراک أما فی الثانی فتغیّر. و هذا ینمّ عن تغییر موقف و موضع التوهم. لأن الاستدراک یدفع التوهم المتولد من کلام سابق کما مرّ. فعند تغییر التوهم یجب إیتاء الاستدراک الذی یلائمها و یناسب دفعها. فعلی سبیل المثال فی المثال الثانی یمکن أن یتوهم «عدم مشیئة الله» لأنّ الاستدراک یدفع هذا بقوله «حَقَّ الْقَوْلُ مِنیّ» أی: «لم نشأ».

لکن فی الثانی، لا یمکن الاستدراک عن نفس جملة السابقة. لأنّ دخول اداة النفی جعلها واضحاً، فجاء الاستدراک لدفع التوهم عن أمر آخر، بتغییر المسند الیه المتوهَّم عدم ثبوت الحکم له ایضاً، نحو دفع توهّم «عدم کفر الشّیاطین» بقوله «وَ لکنَّ الشَّیَاطینَ کَفَرُوا».

فالدلیل الصائب و الصحیح لثبوت الامتناع هو بداهته و لا فائدة للاستدلال بدخول اداة الاستدراک.

لکن هناک مسئلة جدیرة للإهتمام تطرح نفسه و هی ترتبط بدور هذه الأداة الاستدراک التی تفید دفع التّوهم بعد الامتناع المنقطع. اذن ندرس الآن اغراض استعمالها فی بعض آیات القرآن الکریم:

«وَ لَوْ شِئْنَا لآتَیْنَا کلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَ لَکِنْ حَقَّ الْقَوْلُ منیّ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِین» (السجدة: ۱۳)

فهذه الآیه تشتمل علی «لو الشرطیّة الماضویّة»، جملة الشرط و جوابها المستلزمة لها و الاستدراک. حذف مفعول «شئنا» فی هذه الآیة، للاستغناء عنها بما یدل علیه الجواب کما یحذف مفعول فعل المشیئة غالباً فی مجالات الأخری؛ فالتقدیر:

«لو شئنا أی لو تعلقت مشیئتنا تعلقا فعلیا بأن نعطی کل نفس من النفوس، ما تهتدی به إلی الإیمان و العمل الصالح، أو الإیمان و العمل الصالح لأعطیناها إیّاه فی الدنیا التی هی دار الکسب و ما أخرناه إلی دار الجزا» (آلوسی، ۱۴۱۵، ج۱۱، ص۱۲۶) أو «لجبلنا[1] کل نفس علی الانسیاق إلی الهدی بدون اختیار» (ابن عاشور، ۱۹۸۴م، ج۲۱، ص۱۵۵)

۱ . أی: فطّرنا

و المراد من الجواب اختراع الايمان فی النفوس، علی طريق الإلجاء[۲] و القسر[۳]، کما ورد بعض الآيات بهذا المعنی ايضا؛ کقول الله سبحانه و تعالی:

«أَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً» (الرعد: ۳۱)، و «لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدى» (الانعام: ۳۵)، «و لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً» (هود: ۱۱۸).

أما جملة الاستدراک فجائت فی سياق الايجاز و بلغ الايجاز مبلغ الاعجاز، إذ الأصل الإتيان بکل ما يقتضيه الاستدراک؛ أی: «و لکنا لم نشأ ذلک بل شئنا أن نخلق الناس مختارين بين طريقی الهدی و الضلال و حققنا الأخبار عن الجزائين بالوعد و الوعيد بالجنة و جهنم فلأملأنّ جهنم بأهل الضلال من الجنّة و الناس أجمعين» أو «و لکنا بنينا الأمر علی الاختيار دون الاضطرار، فاستحبوا العمی علی الهدی، فحقت کلمة العذاب علی أهل العمی دون أهل البصر».

«لو الامتناعية» کما وضّحنا تفيد ضرورة ما تدلّ عليه الاستدراک من عدم مشيئة الله سبحانه و تعالی، خلقُ الناس علی هداية دون اختيار. فللاستدراک هنا اغراض؛ منها:

- التاکيد علی عدم تلک المشيئة بالاقتصار فی المنطوق.
- الاشارة الی قضاء محتوم من الله سبحانه و تعالی و هو إملاء جهنم من الجنة و الناس أجمعين. و الاشارة الی ما ورد فی الآية الأخری المرتبطة بهذا الأمر، للرّد علی کلام الابليس: «فَبِعِزَّتِکَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» بعد امتناعه من سجدة آدم عليه السلام أی الاشارة علی قوله تعالی: «فَالْحَقُّ وَ الْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْکَ وَ مِمَّنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ» (صص ۸۴-۸۵)

---

۲. و ألْجَأهُ إلی کذا: «اضْطَرَّهُ إليه و أحْوَجَه و ألْجَأ أمْرَهُ إلی اللَّه: أسْنَدَهُ.» و فی بعض النسخ «و أمْرَه إليه: أسنده» (مرتضی زبيدی، ۱٤۱٤، ج۱، ص۲٤٤)

۳. «قَسَرَهُ عَلَی الأمْرِ يَقْسِرُه قَسْراً: أكْرَهَه عليه» (مرتضی زبيدی، ۱٤۱٤، ج۷، ص۳۸۸)

- إخافة الناس بأنّ الاختيار الذى قد جعل مشيئة الله تبارک و تعالى عليه، بما هو عبئ ثقيل على كاهلهم و مسوولیّة عظيمة على كتفيهم يمكن أن يكلّفهم كثيرا و يورّطهم و يسبّب لهم عذابا أليما الذى لا حد لها و لايطاق ابداً. فلابدّ منهم أن يأخذوا حذرهم و يطيعوا الله تبارک و تعالى. و لهذا اقتصر منطوق الكلام فى امر العذاب و الجهنم و العقاب و لم تذكر امر الجنّة و الثواب.

«وَ لَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَ لَتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ لكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» (الأنفال: ۴۳)

مخاطب هذه الآيه رسول الله ﷺ و تُذكّر المسلمين عبر هذا الخطاب، فضل الله عليهم بتقويتهم و شحذ معنوياتهم، عبر نوم رسوله ﷺ حيث حلم بقلّة قدر العدوّ و يأسهم و أنّهم منهزمون مصروعون رغم كثرتهم عدّتاً و أخبرهم قائلا: «أبشروا لقد نظرت إلى مصارع القوم» فأثّر حُلمه ﷺ عليهم بما هو صادق و بمنزلة الوحى؛ فشحذ قواهم و شجّعوا على أعدائهم. اما المراد بالفشل، فالجبن و الوهن و المقصود من التنازع فى الأمر، الاختلاف فى نمط الحرب و القتال.

اما قوله سبحانه و تعالى «وَ لكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ» فاستدراکٌ ايجازاً لدلالة جواب الشرط على المفعول و متعلّقه. فالتقدير «ولكنّه لم يريكموهم كثيرا فسلّمكم من الفشل و التنازع و الاختلاف بإرائته له ﷺ الكفار قليلا» اما إن قلت: الاستدراک هنا قد دَفَعَ توهّم عدم ارائتهم قليلا؛ فكيف تفيد «لو» ضرورة الامتناع دون التوهم؟؛ لقلت: الكثرة و القلة هى إمّا فى الظاهر و إمّا فى نفس الأمر. فقَبل حلم رسول الله ﷺ و مواجهة الاصحاب العدوّ كانوا جاهلين بعدّتهم فى الواقع و فى نفس الأمر. فجملة الشّرطية تشير الى الإخبار بعد النوم و قبل المواجهة. و تحكى مقطوعا بأنّ الاخبار لم يكن عن

کثرتهم فی الواقع و لو کان کذلک، لإطّلع الأصحاب علی کثرة عدّة العدوّ و کان یـؤدّی الی خیبتهم و خوفهم و النقص فی شجاعتهم و هذا عکس قصد الله سبحانه و تعالی.

فلیس التوّهم فی ثبوت ارائة الله سبحانه و تعالی کثرة العدوّ فی الظاهر و الواقع بـل التوهم فی اخباره سبحانه و تعالی عن کثرتهم فی نفـس الأمـر أی: زیـادة معنویـاتهم و أملهم و شجاعتهم و هلمّ جرّاء. فیزیل هذا التوهم بالاستدراک بقولـه سـبحانه و تعـالی: «وَ لکِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ» بإرایته له ﷺ الکفار قلیلا فی نفس الأمر لانّ احلام الانبیاء کثیـراً مـا تحاکی الصورة التی فی نفس الأمر مثل رؤیا ملک مصر سبع بقـرات، و رؤیـا صـاحبی یوسف فی السّجن. فلا علاقة له بدفع التوهم عن عدم ارائتهم کثیـراً فـی الواقـع الـذی ممتنع بالضرورة بإفادة «لو الشرطیّة الماضویة».

و یمکن فرض غـرض آخـر لهـذا الاسـتدراک؛ و هـو الاتیـان بتنبیـه المسـلمین و الاصحاب بأنّ الله تبارک و تعالی هو الذی ساعدکم و فضّل علـیکم؛ و لا یتعلـق الامـر بأنفسکم، کما جاء بالظاهر موضع المضمر فی الآیة بدلاً مـن أن یقـول «و لکنّـه سـلّم» لقصد إفادة زیادة إسناد ذلک إلی اللّه تبارک و تعالی.

«وَ لَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَیهِمُ الْمَلَئکَةَ وَ کلَّمَهُمُ الْمَوْتی وَ حَشَرنَا عَلَیهِمْ کلَّ شیْءٍ قُبُلًا مَّـا کانُواْ لِیُؤْمِنُواْ إِلَّا أَن یَشَاءَ اللَّهُ وَ لَکِنَّ أَکْثرَهُمْ یجْهَلُون» (الأنعام: ۱۱۱)

شأن النزول: روی عن ابن عباس:

«أن المستهزئین الولید بن المغیرة و العاصی بن وائل و الأسود بن عبد یغـوث و الأسود بن المطلب و الحارث بن حنظلة من أهل مکة. أتوا رسـول الله صـلی الله علیه و سلم فی رهط من أهل مکة فقالوا : «أرنا الملائکة یشهدون لک أو ابعث لنا بعض موتانا فنسألهم : أحق ما تقول» و قیـل: إن المشـرکین قـالوا: لا نـؤمن لک حتی یحشر قصی فیخبرنا بصدقک أو ائتنا بالله و الملائکة قبـیلا أی کفـیلا «فنزل قوله تعالی (ولو أننا نزلنا إلـیهم الملائکـة) للـرد علـیهم» (ابـن عاشـور،

۱۹۸۴م، ج۷، ص۵)

اذن المقصود فی هذه الآیة انتفاء إیمانهم أبدا.

و یطلق علی «لو الشرطیة الماضویه» فی هذه الآیه، «لـو الصـهیبیه» ایضـاً و تسـمیته ترجع الی التمثیل بها بین النحاة بقوله: «نعم العبد صهیب لو لم یخف اللّه لم یعصـه». و هذه قسم من اقسام لو الشرطیة الماضویه و یدلّ علی تقریر الجواب مستمرا فی جمیـع الأزمنة و الأحوال عند المتکلم، لسبب آخر غیر منحصر فی الشرط المذکور أو من باب مفهوم الموافقة، و تستخدم ک«إن الوصلیه» لدفع حالة التی یمکن ظنّ عدم وقوعها، عنـد وقوع الشرط؛ مع وضوح تحقّقها عند امتناع الشرط و التصریح بتحقّقهـا مسـتمراً حتـی فی هذه الحالة التی ترد فی الشرط.

أمّا لمرجع الإستدرک بـ«لکن» فوجهان محتملان:

الاول) أنّه راجع إلی قوله سبحانه و تعالی: «إلّا أن یشاء الله»:

الجهل علی هذا التقدیر، ضد العلم. لأنّه کما مرّ فی شأن النـزول، المشـرکون کـانوا واثقین ببقائهم علی دینهم لوهمهم. فأزال هذا التوهم بقوله سبحانه و تعالی «إلّا أن یشاء الله» أی سیحصل ایمانهم عند مشیئة الله قطّ. ثم جاء بالاستدراک بعـده بقولـه: «وَ لَکِـنَّ أَکْثَرَهُمْ یجْهَلُون» لغرض زیادة التنبیه علی الاسـتدراک المـذکور. لأنّهـم کـانوا جـاهلین علی امکان عکسه عند مشیئة الله تبارک و تعالی بعد نزول الآیه.

الثانی) أنّه راجع الی «انتفاء إیمانهم مع إظهار الآیات لهم»:

الجهل حینئذٍ هو ضدّ الحلم. لأنّ من یقرأ الآیه یمکن آن یتوهم أنـه یمکـن صـبر و حلم المشرکین علی ما سیقع بعد طلبهم إظهار الآیات، فیزیل التوهم بالاستدراک بقوله: «وَ لَکِنَّ أَکْثَرَهُمْ یجْهَلُون». یعنی أکثرهم لا یصبرون و قصدهم الاستهزاء فقـط و أقلّهـم اهل الرای و الحلم فیرجی إیمانهم.

فلما تبین من المـراد بالاسـتدراک و غرضـه فـی هـذه الآیـه، اتضـح أنّـه لا علاقـة للاستدراک، بالنصّ علی وضوح الامتناع.

۲-۳-۳. الثانی

أنّها تدلّ علیه مطلقا.

و الظاهر خلاف ذلک. لأن هناک کثیر من الأمثلة التی تقع فیه اللبس بتقدیر الجواب ممتنعا منها:

- «وَ لَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيهِمُ الْمَلئكَةَ وَ كلَّمَهُمُ الْمَوْتىَ وَ حَشَرنَا عَلَيهِمْ كلَّ شىْءٍ قُبُلًا مَّا كاَنُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَ لَكنَّ أَكْثرَهُمْ يجْهَلُون» (الأنعام: ۱۱۱)
- «وَ لَوْ أَنَّمَا فىِ الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم» (لقمان: ۲۷)
- «و کلام رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم:

«انّها لو لم تکن ربیبتی فی حجری ما حلّت لی. انّها لابنة أخی من الرضاعة»

فتقدیر ما ذکر فی هذه الأمثلة یستلزم «ثبوت ایمانهم مع عدم نزول الملائکة و تکلیمهم الموتی لهم و حشر کل شیء علیهم» و «نفاد الکلمات مع عدم کون کل ما فی الارض من شجرة أقلاما و البحر دواة لسبعة أبحر» و «حلّیته مع کونها ربیبة» و هذه التقادیر و المعانی عکس المراد قطّ.

۳-۳-۳. الثالث

أنّها تفیده للشرط و لا للجواب بل ساکت بالنسبة الی الجواب. و الثبوت أو امتناعها یتعلّق بامر آخر غیر افادة «لو» فی حد ذاتها ایّاه. و هو الارتباط و النسبة بین الشرط و الجواب اضافةً الی القرائن. فإلیک جدول التالی:

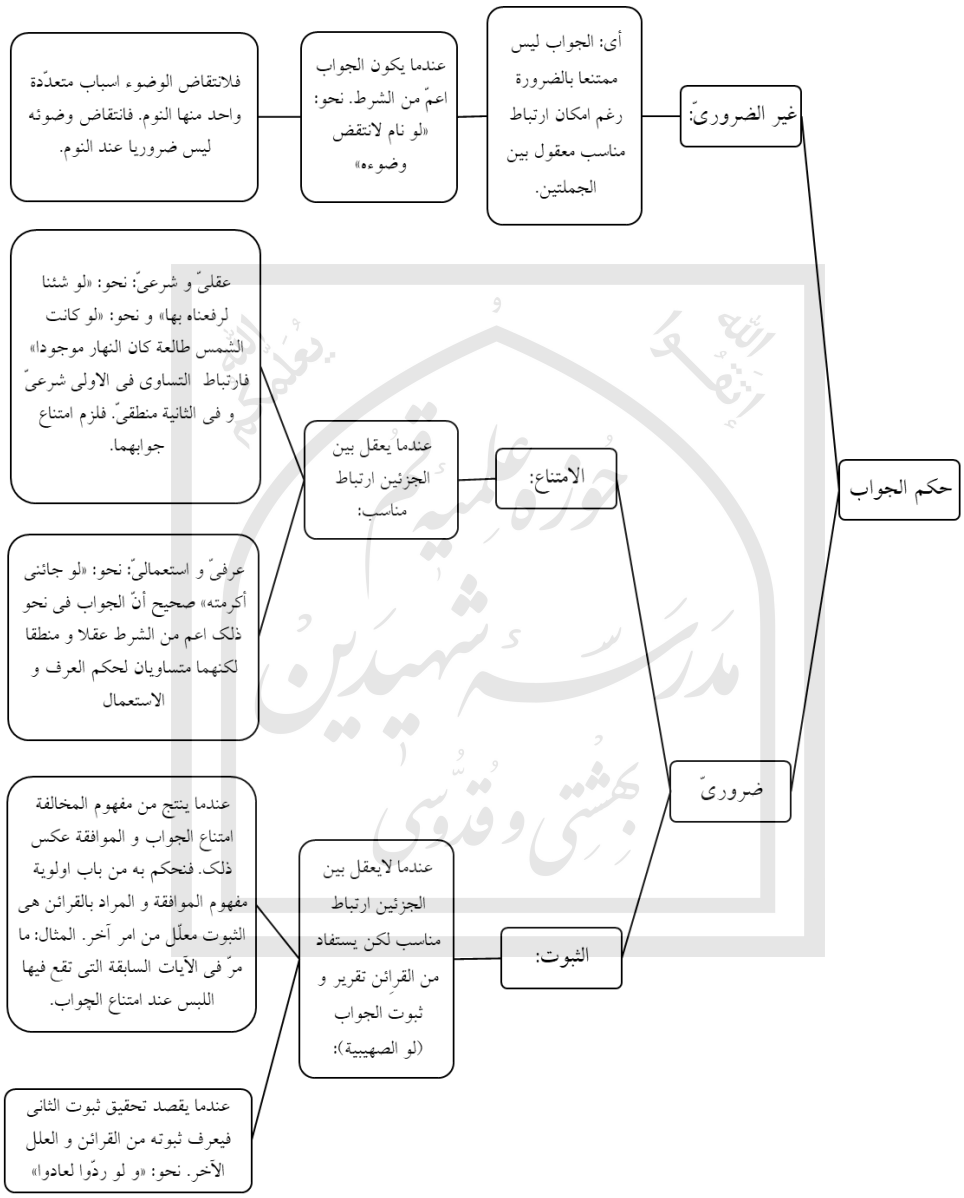
حکم الجواب
غیر الضروریّ:
أی: الجواب لیس ممتنعا بالضرورة رغم امکان ارتباط مناسب معقول بین الجملتین.
عندما یکون الجواب اعمّ من الشرط. نحو: «لو نام لانتقض وضوءه»
فلانتقاض الوضوء اسباب متعدّدة واحد منها النوم. فانتقاض وضوئه لیس ضروریا عند النوم.
ضروریّ
الامتناع:
عندما یعقل بین الجزئین ارتباط مناسب:
عقلیّ و شرعیّ: نحو: «لو شئنا لرفعناه بها» و نحو: «لو کانت الشمس طالعة کان النهار موجودا» فارتباط التساوی فی الاولی شرعیّ و فی الثانیة منطقیّ. فلزم امتناع جوابهما.
عرفیّ و استعمالیّ: نحو: «لو جائنی أکرمته» صحیح أنّ الجواب فی نحو ذلک اعم من الشرط عقلا و منطقا لکنهما متساویان لحکم العرف و الاستعمال
الثبوت:
عندما لایعقل بین الجزئین ارتباط مناسب لکن یستفاد من القرائن تقریر و ثبوت الجواب (لو الصهیبیة):
عندما ینتج من مفهوم المخالفة امتناع الجواب و الموافقة عکس ذلک. فنحکم به من باب اولویة مفهوم الموافقة و المراد بالقرائن هی الثبوت معلّل من امر آخر. المثال: ما مرّ فی الآیات السابقة التی تقع فیها اللبس عند امتناع الجواب.
عندما یقصد تحقیق ثبوت الثانی فیعرف ثبوته من القرائن و العلل الآخر. نحو: «و لو ردّوا لعادوا»

٤. ميزات لو

٤-١. اختصاصها بالماضی (مؤولاً علی الأقل):

فإذا قيل: كيف يمكن دخولها على الفعل المستقبل؟ قلنا: المقصود و الغرض منه ارادة الفعل متحقّق الوقوع و كأنّها قد وقع. كقول الله سبحانه و تعالى فی القرآن الكريم:

«وَ لَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ»

فالرؤية فی هذه الآية لم يقع، لأنّها يتعلق بيوم القيامة التی سوف يقع فی يوم معلوم عند الله سبحانه و تعالى فی المستقبل. اذن المقصود هو افادة حتميّة وقوع الرؤية لضرورة وقوع يوم الحساب. و لو قلت: ما الضير لو فرضنا «لو» بمنزلة «إن الشّرطية» التی ترد على المضارع لأجبنا: إنّها لاتفيد ضرورة وقوع الرؤية بل تتعلق بأمر محتمل فی المستقبل.

فالشرط عند كونه ماضيا أو حالا أو مستقبلا، و لكن قصد فرضه الآن أو فيما مضى؛ فهی «لو الشّرطيّة الماضوية».

٤-٢. وقوع «أنّ» بعدها كثيرا:

نحو «وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا»، «وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا»، «وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ»، «وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ»

و موضع مصدرها المؤول رفع بالاتفاق؛ و إنّها مبتدأ عند بعض، يسدّ مسد خبر عند سيبويه أو خبرها محذوف عند الآخر مقدّما أو مؤخّرا. فزعمهم سهو، لأنّها تختصّ بالفعل كما ذكرنا. فقول المرجّح قول المبرد و الزجاج و الكوفيون فی تقديرها فاعلا لفعل مقدّر أی: «و لو ثبت أنهم آمنوا» الخ.

٤-٣. عدم جزمها

شرط عمل اداة الشرط هو أن تختصّ فعلها بالمستقبل و الّا فلا عمل لها. و «لو الامتناعية» كما ذكر فی المميّزة الاولى تختصّ بالماضی، فلا عمل لها. و بالمناسبة إنّها

لا تعمل فی جمیع أنواع «لو» و لو کانت بمعنی «إن شرطیّة» لغلبة دخول لو علی الماضی.

٤-٤. جوابها لاتخرج غالباً عن

الف) المضارع المنفی بلم. نحو: «لو لم یخف اللّه لم یعصه»

ب) الماضی المثبت التی تدخل علیها اللام غالبا. نحو: «لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً»،

ج) الماضی المنفی بما المجرد من اللام غالبا نحو: «وَ لَوْ شاءَ رَبُّکَ ما فَعَلُوهُ»،

دراسة آیة أخری استعمل فیها «لو الإمتناعیة»

«و لَو عَلِمَ اللهُ فیهِم خَیراً لَأَسمَعَهُم و لَو أَسمَعَهُم لَتَوَلَّو وَ هُم مُعرِضُون» (الأنفال:۲۳)

«لو» فی هذه الآیة حرف شرط یفید انتفاء مضمون جملة الشرط و بالتالی انتفاء مضمون جملة الجزاء.

و المراد بالخیر هو القابلیّة فی فطرتهم لتلقّی الخیر أی دخول الهدایة الیها. فلتعلُّق علم الله تبارک و تعالی بانتفاء هذه القابلیّة؛ تعلقت إرادته سبحانه و تعالی بعدم جعلهم یسمعون و بالتالی یتعلّمون کلام الحق و الهدایة، لکنّه لاتدخل الی نفوسهم المنفعلة بإسماع الله إیّاهم الّا بما یقلّب طبیعتهم و خلقتهم و بما یهدی اصل فطرتهم و جبلتهم. فوقعت الکنایة عن عدم استعداد **مداراکهم** للخیر الذی مرّ توضیحه.

و جملة: «وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ» معطوفة علی جملة: «وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِیهِمْ خَیْراً لَأَسْمَعَهُمْ». و المراد بهذه الجملة المعطوفة، الارتقاء فی الأخبار عنهم؛ أی: الإخبار بانتفاء قابلیة الاهتداء عن نفوسهم فلاجدوی لتقلیب طبیعتهم و جعلها تدرک. لأنّها رغم فهم المواعظ و الحِکَم تتولّی و تعرض. لأنّ تخلّقها بالباطل یحول دون العمل رغم علمها.

لکن فی هذه الآیة مسئلة تثیر السؤال و الاعجاب. یبدوا أنّ هذه الآیه یستوعب قیاسا نتیجته مستحیل. فیستنتج من الصغری أی: «لَو عَلِمَ اللهُ فیهم خَیراً لَأسمَعَهُم» و الکبری أی: «لَو أسمَعَهُم لَتَولَّو»: «لَو عَلِمَ اللهُ فیهم خَیراً لَتَولَّو». فکیف یمکن تولّیهم عند علم الله فیهم الخیر. هذا محال لانّ العلم المذکور یؤدّی الی ایتائهم. فهناک توجیهات:

الف) فرض الإنتاج خطأ أی ما ورد فی الآیه لیس بقیاس؛ لأنّ الحد الوسط لیس متّحداً. فالاسماع الأول مقید بنفعه أو علم الله فیه خیرا. و الثانی مقید بعدم نفعه أو بتقدیر عدم علم الخیر فیهم. و من الأفضل تقدیر الأول إفهامهم عدم استعداد مداارکم للخیر و الثانی الإرتقاء فی الإفهام أی إسماعهم انتفاء قابلیة الاهتداء عن نفوسهم.

ب) اعتبار ما ورد فی الآیه قیاسا و النتیجة صحیحاً: التقدیر: «لَو عَلِمَ اللهُ فیهم خَیراً [وقتاً ما] لَتَولَّو [بعد ذلک الوقت]» فایتائهم ثابت و التولّی لا یختلّ و لا یفسد المعنی لأنه بعد الأیتاء.

النتیجه

تبیّن فی هذه المقالة أنّ «لو الامتناعیة» هی «حرف یقتضی فی الماضی امتناع ما یلیه و استلزامه لما تالیه». فإنّها تدلّ علی شرطیّة الجملة فی الزمان الماضی و لو مؤوّلاً. و تدلّ علی امتناع شرطها بالضرورة و هی ساکتة عن امتناع الجواب أو ثبوته. و من میزاتها، اختصاصها بالفعل الماضی و لو مؤوّلا، دخول «أنّ» بعدها کثیرا، عدم عملها و عدم خروج جوابها کثیرا عن صیغة المضارع المنفیّ بلم و الماضیّ مطلقا. و ترد احیانا بعدها اداة الاستدراک. فتمّ دراسة کیفیة اجتماع أمرین مانع الجمعین فی الظاهر أی: اجتماع الامتناع الحتمیّ و دفع التوهم الذی غیر حتمیّ، بالإستدراک. فوضّح أنّ الإستدراک، إمّا راجع الی شرط «لو» لتأکید امتناعه أو لاغراض أخری التی تمّ الاشارة الی بعضها و إمّا الی امر آخر، قصد إزالته و دفع التوهّم منه؛ فلا یخلّ الإستدراک مع أنّه لدفع امر متوهّم و غیر حتمیّ، بضرورة امتناع الشرط.

المصادر:

۱. **القرآن الكريم.**

۲. ابن عاشور، محمد بی طاهر (۱۹۸٤م). **التحرير و التنوير**. تونس: الدار التونسية للنشر.

۳. ابن مالک، محمد بن عبدالله (بی‌تا). **شرح التسهيل** (الطبعة الاولی). قم: ذوی القربی.

٤. ابن هشام، عبد الله بن يوسف (بی‌تا). **مغنی اللبيب عن كتب الأعاريب** (الطبعة الرابعه). قم: مكتبة آية الله العظمی المرعشی النجفی(ره).

۵. ابو حيان، محمد بن يوسف (۱٤۲۰ه.ق). **البحر المحيط فی التفسير.** بيروت: دار الفكر.

٦. آلوسی، سيد محمود (۱٤۱۵ه.ق). **روح المعانی فی تفسير القرآن العظيم** (الطبعة الاولی). بيروت: دارالكتب العلميه.

۷. بابستی، عزيزة فوال (بی‌تا). **المعجم المفصل فی النحو العربی** (الطبعة الاولی). بيروت: دار الكتب العلمية.

۸. الدسوقی، مصطفی محمد عرفة (۲۰۰۷م). **حاشية الدسوقی على مغنی اللبيب عن كتب الأعاريب** (الطبعة الثانيه). بيروت: دار الكتب العلمية.

۹. زمخشری، محمود (۱٤۰۷م). **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**(الطبعة الثالثه). بيروت: دار الكتاب العربی.

۱۰. طباطبايی، سيد محمد حسين (۱٤۱۷ه.ق). **الميزان فی تفسير القرآن** (الطبعة الخامسه). قم: مكتب نشر الاسلامی لجامعة المدرسين فی حوزة علمية قم.

۱۱. مدنی، عليخان بن احمد (بی‌تا). **الحدائق الندية فی شرح الفوائد الصمدية** (الطبعة الاولی). قم: ذوی القربی.

۱۲. مرتضی زبیدی، محمد بن محمد (١٤١٤ه.ق). بیروت: **تاج العروس من جواهر القاموس** (الطبعة الاولی). بیروت: دار الفکر.
۱۳. یعقوب، امیل (١٣٦٧ه.ش). **موسوعة النحو و الصرف و الإعراب** (الطبعة الاولی). بیروت: دار العلم للملایین.

حوزه علمیه قم
مدرسه شهیدین بهشتی و قدوسی